الفرقة القومية للتمثيل .. ماضيها وحاضرها ومستقبلها

سامي عبد الحميد

بدا التفكير بتاسيس فرقة مسرحية تابعة للدولة وبشكل جدي منذ تولي الراحل حقي الشبلي الادارة العامة لدائرة السينما والمسرح اواخر العام ١٩٦٤ وخصوصا بعد ان تملكت وزارة الثقافة والاعلام مباني المعرض السوفياتي التي قدمت هدية لحكومة العراق بوقتها وكان من ضمن تلك المباني بناية المسرح التي سميت المسرح القومي . وفي ذلك الوقت وبعد ان اسدعيت من قبل استاذي الراحل حقي الشبلي لأرأس قسم المسرح في تلك الادارة قمت باستدعاء عدد من خريجي وطلبة اكاديمية الفنون الجميلة العليا وطلبة معهد الفنون الجميلة ليكونوا نواة الفرقة التي سميت (الفرقة القومية للتمثيل) وكان الاحرى ان تسمى (فرقة المسرح الوطني) اسوة بقريناتها في عدد من الدول الاجنبية والعربية وكان المؤمل ان يتم تعيين اول مجموعة من الممثلين كموظفين دائمين في الدائرة الا ان الشبلي تردد في البت في امر لاسباب نجهلها .. الى ان جاء عام (١٩٦٨) حين صدر الامر الرسمي بتشكيل الفرقة وتعيين عدد من المسرحيين اعضاء فيها ومنهم الراحلون بهنام ميخائيل ومحمد القيسي ووجيه عبد الغني وقاسم الملاك.

وعندما عين محسن العزاوي مديرا للفرقة بدا التخطيط الصحيح لعمل الفرقة على مبدا الانتاج المسرحي المستمر وبالفعل اخذ عطاء الفرقة الفني يتصاعد كميا ونوعيا منذ ذلك الحين وتزايد عدد اعضاء اذ ضمت الغث والسمين بعد ان انضم اليها اعضاء نقلوا من جهات اخرى غير وزارة الثقافة والاعلام ومن دون ان يخضعوا لنظام واضح لاختيار الكفاءة وللأختيار الصحيح ومع ذلك فلم يكن هنالك من هو عاطل عن العمل أو من لم يشارك في احد انتاجات الفرقة .

وشاركت عدد من المسرحيات في مهرجانات عربية وحازت على اعجاب وتقدير الجمهور ولجان التحكيم وحصلت على جوائز التفوق ومن تلك المهرجانات : مهرجان دمشق وايام قرطاج المسرحية ومهرجان ربيع المسرح في المغرب، ومهرجان القاهرة للمسرح التجريبي لاضافة الى مشاركاتها في المهرجانات المحلية. وخلال التسعينيات من القرن الماضي استمرت الفرقة في تنظيم وتقديم اعمال بارزة الان انحرافا قد حصل في خط سيرها حيث اخذت تقدم مسرحيات هدفها اجتذاب جماهير واسعة على حساب المستوى الفني الرفيع وفي تلك المرحلة ظهرت اول بوادر الفساد الاداري والمالي للفرقة حيث اخذت الادارة تساوم عدداً من المنتجين من خارج كادر الدائرة والفرقة لغرض تمويل عدد من الانتاجات المسرحية مقابل عمولات مالية وكانت تلك الادارات تبرر توجهها المنحرف ذاك بتوفير مردودات مالية مجزية لاعضاء الفرقة اولا والكادر الوظيفي ثانيا . وكانت الاموال الطائلة التي تدرها تلك الانتاجات الهابطة في مستوياتها الفكرية والفنية هي التي دفعت بالحكومة الى تصنيف دائرة السينما والمسرح ضمن المؤسسات التي تعمل بموجب مبدأ التمويل الذاتي: ووقتها لم يجد ذلك المبدا معارضة من قبل اعضاء الفرقة لكونه يوفر لهم المبالغ المالية المضافة الى رواتبهم الزهيدة والغريب ان عدد اعضاء الفرقة قد تضخم بشكل غير اعتيادي في الايام الاخيرة من النظام السابق حيث قام المدير العام انذاك باضافة اعداد كبيرة من الممثلين والمخرجين والكتاب ممن كانوا يعملون في الفرق الخاصة الى الكادر الرئيسي للفرقة وذلك بتوقيع عقود مع اولئك المضافين ..

بعد ان تغير نظام الحكم منذ الشهر الرابع من العام ٢٠٠٣ توقف نشاط الفرقة القومية للتمثيل بسبب الوضع الامني وبسبب الخراب الذي اصاب بنايات المسرح الوطني ولكن العدد القليل من اعضاء الفرقة من الاصليين ومن المضافين ورغبة منهم في اعادة الحياة لفرقتهم فقدموا عددا من الانتاجات المسرحية التي لم يشاهدها سوى اعضاء الفرقة الاخرين وبعض الاصدقاء وشاركت تلك الاعمال القصيرة القليلة في مهرجانات خارج العراق اثبتت اصرار الفنان العراقي على استمرارية الحياة على الرغم من كل المعرقلات والصعاب .. واخذ اعضاء الفرقة بالغبن الذي لحق بهم جراء استمرار تطبيق نظام التمويل الذاتي حيث غابت تلك المبالغ الاضافية التي كانت تاتيهم من الانتاجات المسرحية طويلة الامد في عروضها ومن تاجير مرافق دائرة السينما والمسرح حيث توقف التاجير وتوقفت سيولة الموارد .. ووجد جميع من يعمل في دائرة السينما والمسرح انهم يتقاضون رواتب ضئيلة جدا مقارنة برواتب الموظفين الاخرين في دوائرالدولة الاخرى لذلك راحوا يطالبون بارجاعهم الى نظام التمويل المركزي ومعاملتهم من ناحية الرواتب معاملة اقرانهم من موظفي الدولة وبرروا للمسؤولين مطلبهم هذا بزوال الاسباب والمبررات التي دعت لتطبيق نظام التمويل الذاتي بيد ان الجهات العليا على الرغم من اقرارها باحقية المطالبة لم تستجب له واستمر موظفو واعضاء الفرقة يتذمرون ويشتكون وربما كانت لدى الجهات الحكومية العليا اسبابها لعدم تلبية المطلب واعتقد ان الكثرة العددية لاعضاء الفرقة القومية للتمثيل تلك الكثرة المبالغ بها، احد تلك الاسباب التي حيث ان (فرقة المسرح القومي) وهي التسمية الاصح لها مقبلة على معاودة نشاطها كما كان في السابق ووخصوصا بعد ان يستتب الامن في البلاد وتعاود المسارح فتح ابوابها بعد الترميم وستكون ادارتها ملزمة بوضع خطط قصيرة الامد واخرى طويلة الامد ومنها خطة نظام (الريبتوار). .. اقول في مثل هذه الحالة الجديدة فلابد للجهات العليا من ان تأخذ ذلك الامر بنظر الاعتبار وتعيد دائرة السينما والمسرح الى نظام التمويل المركزي حيث ان الرسالة الثقافية التي تقدمها هذه الدائرة لاتقل اهمية عن الرسائل التي تحملها الدوائر السيادية في الدولة والمسرح على وجه الخصوص هوالوجه الحضاري الاكثر سطوعا هذه الايام.

الندوات المسرحية الثقافية والفكرية كيف.. والى اين ؟.

يوسف العاني

ليس اليوم ولا البارحة ولا قبل عام .. بل منذ عام ١٩٥٧ وانا اشارك بمهرجانات مسرحية باكثر من بلد عربي واجنبي .. توزعت بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .. في كييف باوكرانيا في الاتحاد السوفياتي كما كانت تسمى عام ١٩٥٧ ثم في براغ والمانيا الديمقراطية كما كانت تسمى ايضا وبودابست وباريس وكوبا والبلدان العربية التي اقامت مهرجانات مسرحية او ثقافية .. مثل القاهرة ودمشق وعمان والكويت والامارات وتونس ولبنان .. وهكذا .. اضافة الى المهرجانات والندوات التي كنا نقيمها في العراق اقول منذ اكثر من خمسين عاما والمهرجانات الثقافية والمسرحية والسينمائية تشكل في حياتي كيانات مهمة فتحت امامي رؤى لزيادة المتابعة والتعرف على كل جديد وفي ندوة تقام في ذاك المهرجان يكون لي نصيب فيها .. ان لم اكن مشاركا ومقدما بحثا يتعلق بموضوعها مباشرة .. فانني اكون معقبا .. وفي اقل تقدير مستمعا للمشاركين فيها . انني وفي بعض الحالات اخلو فيها بنفسي بين جمع من استذكاراتي التي لاتفارقني ابدا . واعني شؤون المسرح ومسرحنا العربي بالذات اكاد اغرق بما يقدمنا من كلام مخلص رسم الكثير منها محاولات انبعثت مما نعرف من خلال دراسات موسعة ومتنوعة او من خلال تجارب اضافت لنا وجهات نظر ايجابية تصب في اغناء المحاولات التي مرت بنا او مررنا بها .. على سبيل المثال ومن خلال ارشيفي الضخم اشير الى مواضيع لندوات نسميها دائما بانها فكرية ليطلع القارىء الكريم على تنوع وسعة المحاولات الجادة تلك واهميتها مازالت تأخذ مكانتها في مسارات المسرح العربي .. ولن اذهب بعيدا ومنذ اولى الندوات التي شاركت فيها بل ابدا بعام ١٩٧٠ .. حيث مازالت الصورة للندوة نفسها وللمشاركين فيها .. قائمة امام انظاري وبعض من شاركنا فارق الحياة منذ سنوات ..

- الخلق المسرحي تونس ١٩٧٠
- الندوة الثقافية عن المسرح دمشق ١٩٧٣
- وابتعد قليلا لاقترب قليلا واجتاز عشر سنوات
- التراث والمسرح الكويت عام ١٩٨٤
- بوليفيا ٩٣ اسبانيا ١٩٩٣
- السينوغرافيا في المسرح عام ١٩٩٤
- مسرح الطفولة الاول تونس ١٩٩٩
- التنمية والمسرح عمان ٢٠٠٠
- اللغة والمسرح الامارات ٢٠٠٥
- تفاعل الثقافات في العرض المسرحي القاهرة ٢٠٠٧

وهناك ندوات كثيرة اخرى فانا وحدي قد شاركت في ٦٢ ندوة في مهرجانات مسرحية او ثقافية او ندوات اقيمت بلا مهرجانات بايجاز شديد اقول وقد اشرت الى ذلك ان المشاركة او اقامة كل ندوة تنبع برغبة مخلصة وجادة في كل مرة بل ان بعضا منها يعلو ويرتفع بالموضوع المطروح سيما حين يحسن اختيار المشاركين حين يكون قسم منهم ليس مجرد منظر مسرحي او مدرس لشؤون المسرح وحده بل ان هناك تجربة واسعة مر بها او مارسها واستطاع من خلالها ان يجيز بين الابداع فيه او عدم الثقة ..

ومنهم أي المشاركين . من اطلع على تجارب مسرحية عديدة اكتشف من خلالها محاولات جديدة تحمل ابداعها وغناها في ما تقدم او تكتشف.

وبعد سنوات من البدايات بالنسبة لي .. احسست ان التجربة اقامة الندوات بدات بالاضمحلال قليلا وأكثيرتها صار وسيلة لملء الفراغ او لاكساب فعاليات المهرجان ثقلا يزيد من شأنه سيما ان كانت المشاركة في العروض لا ترقى الى المتصور والمطلوب من المهرجان وان ما يشاهده المتلقي لايزيد عن مجرد عروض تحمل وجوها سبق وان تعرف عليها يتغير فيها الا وجوه جديدة يتعرف عليها لكنها تبقى مقلدة للاخرين من كثرة ما قدموه او شاركوا في عروض كثيرة .. ظلت المشاركة في الندوات لاشخاص يتكررون ايضا وهذا الامر ليس خطا كله لكن التاكيد عليه يعني ان الطروحات او وجهات النظر ستعاد وان اختلفت الصيغة .. انها ظاهرة لمستها في الكثير من الندوات الفكرية في المهرجانات المسرحية العربية .

هذه الملاحظات اسجلها حرصا على جهود تبذل ومبالغ تصرف دون ان تحقق الندوات هدفها الفكري او الثقافي ويتغلب الجانب الاعلامي وحده ليقال ان ندوة اقيمت في هذا المهرجان او ذاك ..

ان المفروض في حصيلة الندوات التي تعقد والتوصيات التي تثبت او الجوانب التي يشار اليها ايجابا او سلبا ان ترافقها متابعة او متابعات لا ان يظل كل ما خرجت به الندوات "كلمات" اما معلقة بالهواء او مختبئة في درج المسؤولين لتمر الايام والشهور والسنوات عليها لتصبح نسيا منسيا .. او نعود عليها بعد زمن لنبدا بها وبما قلناه من الصفر .. قليلة تلك الندوات التي استذكرها وانا مشارك فيها. ماظلت متحركة بطروحاتها في حين ان ندوات اخرى جاءت بعدها تكاد تكون مفعمة بها .. او مضافة اليها . وبذلك ندري او لاندري يتحول مثل ذاك الاثر الى فعل . متبنى من اجل الافضل والاحسن.

انني اقول وللاسف وانا استعيد العدد الكبير من الكلمات والبحوث التي قدمت او التي قدمناها ظلت مجرد ذكرى حلوة لكنها بلا اثر .. سيما حينما تكون بعيدة عن الذين بيدهم الحل والربط في هذا البلد او ذاك او انها في حاجة الى جهود اخر غير جهود اقامة المهرجانات او الندوة الفكرية وهكذا وانا احسب السنوات من عمري ان سنوات كثيرة ذهبت سدى رغم ما قدمه المسرحيون المخلصون من معرفة جديدة تكون دافعا لمسرحنا في ان يغذ السير بدروب اكثر انفتاحا ورؤى اكثر بعدا .. فذاك هو الهدف من المهرجانات المسرحية العربية اولا .. وندواتها الثقافية او الفكرية ثانيا..

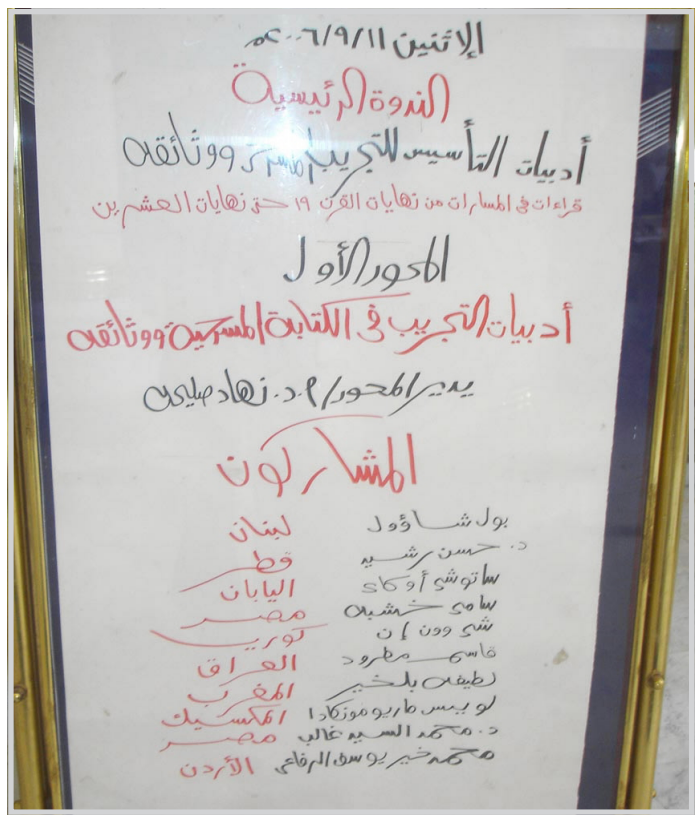

رابطة نقاد المسرح العراقي ...بين الواقع والطموح

بشار عليوي

تعد رابطة نقاد المسرح العراقي ، من التجمعات الثقافية المهمة الموجودة على الساحة الفنية العراقية عموماً والمسرحية على وجه الخصوص، بوصفها تجمعاً معنياً بتقويم النتاج المسرحي العراقي . ما أكسبها أهمية توازي أهمية هذا النتاج . ومنذ تأسيسها أخذت على عاتقها مسؤولية مواكبة هذا النتاج وملاحقته نقدياً بالتعقيب ونشر المقاربات القرائية النقدية لعروضه في الصحف والمجلات واقامة الجلسات النقدية التي تعقب العروض مباشرة بحيث أصبحت تقاليد فنية رصينة عملت الرابطة من خلال أعضائها ، على تكريسها في حياتنا المسرحية العراقية .

ولأن النقد هو بألاساس عملية فاحصة للعمل الفني ومن ثم أنتاج قراءة ثانية للمتلقي بالآعتماد على خطاب العمل المبدع المتأسس على خطاب فني مبدع محايث له، لذا غدت نقودات أعضاء الرابطة/ أحكاماً علمية –فنية- جمالية يمكن الركون أليها بحثياً ومعرفياً ، كونها مكتوبة بأقلام نقاد متمرسين في العملية النقدية والفنية .. مدججين بعدة رصينة من الأساليب والمناهج والمقاربات المنهجة على أسس علمية /مبدعة. وقد ضمت الرابطة في عضويتها النقاد(د.باسم الأعسم/د.محمد أبو خضير/ د.رياض موسى سكران/ د.عواطف نعيم/د.يوسف رشيد/ المرحوم عزيز عبد الصاحب/د.عقيل مهدي يوسف/عباس لطيف). ويمكن استعراض منجز الرابطة الذي بدأ عام ١٩٩١ (تأريخ تأسيسها) بمرافقة المهرجانات المسرحية العراقية التي كانت تعقد كل عام(مهرجان منتدى المسرح/ مهرجان المسرح العراقي /مهرجان المونودراما/مهرجان بغداد للمسرح العربي/ مهرجان منتدى المسرح في البصرة / مهرجان المسرح البابلي في مدينةالحلة) فاصبح من المتعارف عليه عقد الجلسات النقدية والحلقات الدراسية والندوات التي تنظم على هامش هذه المهرجانات وبعد العروض مباشرة من قبل الرابطة .

كما قامت الرابطة ومن خلال تواجد أعضائها في مؤسساتنا الفنية والأكاديمية العراقية بوصفهم منتسبين أليها، بتفعيل النتاج المسرحي في مؤسساتهم تلك من خلال تعقيباتهم ونقوداتهم ومن ثم تسليط الضوء على هذا النتاج . فعلى مدى دورات مهرجان منتدى المسرح العراقي في بغداد مثلاً ، لاحظنا حضوراً قوياً لأعضاء الرابطة في تعقب عروض منتدى المسرح نقدياً والعمل بأخلاص على أيجاد خطاب نقدي ومؤثر في هذه العروض ، وتأثر صناعها بهذا الخطاب النقدي. وقد انطلقت الرابطة من الموضوعية والعلمية والثقافة الشمولية التي يتمتع بها أعضاؤها خصوصاً وأن غالبيتهم من حملة الشهادات العليا في الفنون المسرحية ، اهلتهم للنهوض بهذه المهمة الصعبة ، حاملين للهم الثقافي والأنساني المشترك وبالتالي أنتاج منجز نقدي يحمل من الرصانة العلمية والجمالية ، ما يمكنه من أيجاد جذوره في أبداع الآخر . لكن برغم هذا المنجز القيم ، نجد أن الرابطة (المغيبة تماماً الآن عن المشهد الثقافي العراقي!) لم تحظ بأي وجه من أوجه الرعاية والدعم من قبل وزارة الثقافة .حيث أن جميع مجهودات اعضاء الرابطة هي فردية تدفعهم مسؤولية النقد التي يحملونها الى رصد الظاهرة المسرحية العراقية . ومما لا حظناه أن جميع لجان المشاهدة والتحكيم التي كانت تشكل من قبل دائرة السينما والمسرح في المهرجانات المسرحية التي أقيمت في السابق، تخلو من وجود أعضاء رابطة النقاد . كذلك فأن العروض المسرحية العراقية التي تشارك باسم العراق في المهرجانات والملتقيات المسرحية العربية والدولية ، لا تصحب أي ناقد مسرحي بمعيتها ، فتغيب الصورة الحقيقية عن طبيعة المشاركات وتظل الصورة غامضة أزاء الوسط والجمهور عن ماهية العرض والاصداء التي حققها كون الناقد هو القارىء الحقيقي للعرض والملتقط الدقيق لما حققه العرض في هذه المشاركات (وهنا أود الاشارة الى ذلك التقليد الناجح الذي أتبعه مجتمع الرياضة العراقية بالتماهي مع أتحاد الصحافة الرياضية العراقي في مرافقة صحفي رياضي لكل وفد رياضي عراقي له مشاركة خارجية) .فعلى سبيل المثال أضحت مشاركتنا في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي في كل عام ، مشاركة هامشية بحتة ، ولا تتوفر لعروضنا المسرحية المشاركة أدنى درجات الرعاية هناك لآنها خارج المسابقة ، ولا تحقق أي صدى يذكر . فتغيب عن ألانظار حقيقة وطبيعة المشاركة وكيف كان عليه الحال مع عروضنا ، بفعل عدم مرافقة الناقد المسرحي، وهو الخبير بالظاهرة المسرحية ، لملاك العرض . وبدلاً من ذلك كله نسمع ونقرأ أن عروضنا قد حصدت (الأعجاب) بدلاً من الجوائز . وهنا نقول أن دور الناقد المسرحي ليس دوراً ثانوياً بل أن له دوراً رئيسياً مهماً في العملية الأبداعية . ولكي يعود للرابطة حضورها المهم ثانية ، ندعو السادة أعضاوها الى أعادة بث روح الحياة فيها من جديد. كذلك نرى من الضروري أن يكون لوزارة الثقافة دور مهم في دعم واحتضان الرابطة ومن ثم أعادة هيكلتها بفتح تكوينات متفرعة لها في المحافظات والبدء بالمحافظات المكتنزة بالطاقات النقدية المؤثرة وهي (بابل/ الناصرية/ البصرة / كركوك) ومن ثم يكون أعضاء هذه التكوينات هم (الهيئة العامة لها). أما أعضاء الهيئة الآدارية فينتخبون في كل دورة أنتخابية بعد ألانتهاء من وضع نظام داخلي لها يحدد كل الأمور التنظيمية . كذلك ضرورة تقديم كل التسهيلات من قبل دائرة السينما لأعضاء الرابطة . وعلى هذه الدائرة أن تلتزم بضرورة أن يرافق ناقد مسرحي (ممن تتم تسميته من قبل الرابطة) الوفود المسرحية التي لهامشاركات خارجية ، كي يتم الأطلاع على طبيعة هذه المشاركة ورصدها نقدياً ، وبذلك نكون قد قدمنا شيئاً بأأجاه ترصين مشهدنا المسرحي العراقي وأضاءته بالخطاب النقدي الواعي.